

السجل العلمي

لمؤتمر الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي آثاره العلمية والدعوية

المجلد التاسع والأربعون

الأربعاء والخميس
٢٣-٢٤ ربيع الأول ١٤٤١



(09)
منهج العلامة عبد الرحمن السعدي في شرح الأحاديث وبيان معانيها
د. أحمد بن ذيب العتيبي

الرعاة

مصرف الإنماء
alinma bank



منهج العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي

في شرح الأحاديث وبيان معانيها

د . أحمد بن ذيب بن حمود العتيبي

الأستاذ المساعد في قسم السنة وعلومها

كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مُقَدِّمَةٌ

فإنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد :

إن السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، ولذا: بذل علماء الأمة وما يزالون على خدمتها، روايةً، ودرايةً، وألفت في ذلك المؤلفات الكثيرة جيل بعد جيل .

وإن من العلماء الذين عنوا بالسنة النبوية عنايةً فائقةً العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى، يظهر ذلك جلياً في أخذه لعلم الحديث من مشايخه رحمهم الله، فقرأ الأمهات الست وغيرها من مصنفات الحديث، وكذلك عنايته الفائقة في تعليم علم الحديث تأليفاً وشرحاً وإملاءً ونحوها .

ومن حق هذا العالم الجليل أن تبرز جهوده العلمية والدعوية وغيرها، ولا شك أن ما دعت إليه جامعة القصيم ممثلة في كلية العلوم والآداب بعنيزة بالتعاون مع كرسي الشيخ ابن عثيمين للدراسات الشرعية لعقد مؤتمر بعنوان (الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي آثاره ومنهجه في الاجتهاد والتجديد والدعوة) هو من أداء حق لهذا العالم العلامة الذي لجهوده آثار معلومة مشاهدة في الحركة العلمية في مدينته عنيزة على وجه الخصوص، وفي باقي بلدان هذه الدولة المباركة والدول الإسلامية .

فاستعنت بالله في بيان منهج الشيخ رحمه الله تعالى في شرح الأحاديث وبيان معانيها من خلال مؤلفاته في علم الحديث فقط، إذ هي مقصود البحث؛ وإلا فإن للشيخ رحمه الله تعالى كلام قيّم وفوائد فريدة في شرحه للأحاديث التي يوردها في ثنايا مؤلفاته الأخرى في التفسير والفقه وغيرها .

أهمية البحث وأسباب اختياره:

- ١- رسوخ قدم العلامة ابن سعدي رحمه الله في علم الحديث.
 - ٢- تلقي الأمة بالقبول لمؤلفات العلامة ابن سعدي والعناية بها؛ خصوصاً في علم الحديث.
 - ٣- أني لم أقف على دراسة مستقلة لهذا الموضوع.
- منهج البحث:

سأقوم في هذا البحث بسلوك المنهج الاستقرائي التحليلي.
خطة البحث:

وقد رسمت خطة البحث من خلال ما يلي :

- * المقدمة: وتشتمل على أهمية البحث، ومنهجه، وخطته.
- * التمهيد: ترجمة العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى.
- * المبحث الأول: التعريف بمؤلفات العلامة ابن سعدي الحديثية؛ وفيه مطالب:
 - المطلب الأول: التعريف بكتاب التعليقات على عمدة الأحكام.
 - المطلب الثاني: التعريف بكتاب بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار.
 - المطلب الثالث: التعريف بكتاب أحاديث في الحج.
 - المطلب الرابع: التعريف بكتاب الأحاديث المختارة في الأصول والأحكام والآداب وغيرها.
 - المطلب الخامس: التعريف بكتاب قطعة من شرح بلوغ المرام.
- * المبحث الثاني: منهج العلامة ابن سعدي في شرح الأحاديث وبيان معانيها؛ وفيه

مطالب:

المطلب الأول: منهجه في تخريج الحديث والحكم عليه.

المطلب الثاني: منهجه في شرح ألفاظ الحديث.

المطلب الثالث: منهجه في بيان المعنى الإجمالي.

المطلب الرابع: منهجه في استنباط الفوائد والأحكام.

* الخاتمة .

* الفهارس اللازمة.

التمهيد

يحسن بنا قبل البدء في ثنايا البحث وصلبه التمهيد بترجمة موجزة للعلامة ابن سعدي رحمه الله^(١) يظهر من خلالها عنايته بعلم الحديث تلقياً من شيوخه، وأداءً إلى تلامذته تدريساً، وللأمة تأليفاً.

فاسمه: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدِي التَّمِيمِي، أبو عبد الله، مولده ووفاته في بلدة عنيزة بالقصيم، فكان مولده عام ١٣٠٧ هـ، ووفاته ١٣٧٦ هـ.

توفيت أمه وله أربع سنين ثم توفي والده وهو في الثانية عشرة من عمره، فنشأ في كنف زوجة أبيه وأخيه الأكبر (محمد) فحفظ القرآن مبكراً، وطلب العلم على علماء نجد، منهم: الشيخ صالح بن عثمان - وهو أكثر من لازمه - والشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل، والشيخ محمد بن مانع، والشيخ محمد الشنقيطي.

واهتم بتلقي علم الحديث على أشياخه فقرأ الحديث على الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، والشيخ علي بن ناصر أبو وادي قرأ عليه في الأمهات الست وأجازه في ذلك^(٢).

ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يتعلم ويعلم، وهو أول من أسس مكتبة عنيزة (سنة ١٣٥٨)، وأخذ عنه كثير من الطلاب؛ منهم: الشيخ سليمان بن إبراهيم البسام، والشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع، والشيخ

(١) مصادر ترجمته: الأعلام للزركلي (٣/ ٣٤٠)، معجم المؤلفين (١٣/ ٣٩٦)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢١٨-٢٧٢)، مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص: ٢٥٦)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٢/ ١٢٠٧)، الشيخ عبدالرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة (ص: ١٧ وما بعدها).

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون (٥/ ٣٠٥).

علي الحمد الصالحي، والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، والشيخ محمد صالح بن عثيمين رحمهم الله، وغيرهم الكثير.

وألف مؤلفات نافعة تجاوزت الثلاثين تدل على مشاركته في العلوم ورسوخه؛ منها: تفسير القرآن الكريم المسمى «تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن»، وإرشاد أولي البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب مربية على طريقة السؤال والجواب، وتنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله، والدررة المختصرة في محاسن الإسلام، والخطب العصرية، والقواعد الحسان لتفسير القرآن، والحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين.

أثنى عليه كثيرٌ من أهل العلم، قال الشيخ محمد حامد الفقي: لقد عرفت الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي من أكثر من عشرين سنة فعرفت فيه العالم السلفي المحقق، الذي يبحث عن الدليل الصادق وينقب عن البرهان الوثيق... عرفت فيه العالم السلفي الذي فهم الإسلام الفهم الصادق، وعرف فيه دعوته القوية الصادقة.

المبحث الأول: التعريف بمؤلفات العلامة ابن سعدي الحديثية

وفيه مطالب:

المطلب الأول: التعريف بكتاب (التعليقات على عمدة الأحكام).

لاشك أن كتاب (عمدة الأحكام) للحافظ أبي محمد عبدالغني بن عبدالواحد بن علي المقدسي الحنبلي المتوفى سنة (٦٠٠ هـ) كتاب عظيم القدر، رفيع المكانة، اهتم به أهل العلم منذ تأليفه إلى يومنا حفظًا وشرحًا، وقد شرحه كثير من علماء المذاهب الأربعة،

والكتاب من محفوظات الشيخ رحمه الله تعالى^(١)، وقام الشيخ بشرح عمدة الأحكام بطريقة الإملاء على طلابه، وقيد هذه الإملاءات تلميذه الشيخ عبدالله بن محمد العوهلي رحمه الله تعالى المتوفى (١٤٠٨ هـ)^(٢)، فكتب هذه الإملاءات في كراريس، قام بجمعها وتلخيصها، فكان هذا الشرح سهل العبارة، متوسط ليس بالمطول ولا بالمختصر.

وكان هذا الشرح درسًا يلقيه على طلابه، واستظهر محقق الكتاب^(٣) أن الشرح كان بين عامي (١٣٤٧-١٣٤٩) لسببين:

١- ما كتب في آخر نسخة المتن: حررت في (٤) شعبان سنة (١٣٤٧)، ثم كتب في آخر نسخة الشرح: ٢٢/ ذو القعدة/ ١٣٤٩ هـ.

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢٢١).

(٢) ترجمته: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٤/ ٥٠٣).

(٣) عبدالرحمن الأهدل، طبعة دار الفوائد (ص ٩).

٢- ما ذكره تلميذ المؤلف الشيخ محمد السليمان البسام^(١).

وقد طبع الكتاب مرتين، إحداهما بعناية عبدالرحمن بن سالم الأهدل بدار عالم الفوائد عام ١٤٣١ هـ، والأخرى بمكتبة العلوم والحكم بمصر عام ١٤٣٣ هـ. المطلب الثاني: التعريف بكتاب (بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار).

حفظ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم للأمة من القربات العظيمة، جعلت كثيراً من أهل العلم يؤلفون كتباً تحوي أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم مجردة أو مع الشرح، ورُوي في هذا حديث (من حفظ على أمي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً)^(٢).

وقام الشيخ ابن سعدي رحمه الله تعالى بجمع تسعة وتسعين حديثاً من جوامع الكلم أسماه: (جوامع الأخبار) ثم شرحه في كتاب أسماه (بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار).

وربما اختصر الشيخ رحمه الله تعالى اسم الكتاب بقوله: «البهجة»^(٣).

وقد وصف رحمه الله تعالى هذا الشرح بقوله في مقدمته: وقد بدالي أن أذكر جملة صالحة من أحاديثه الجوامع في المواضيع الكلية، والجوامع في جنس، أو نوع، أو باب من أبواب العلم، مع التكلم على مقاصدها وما تدل عليه على

(١) المصدر السابق (ص ١٠).

(٢) رُوي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنه منهم: علي ومعاذ وأبو هريرة وغيرهم، ولا يصح، يراجع: علل الدارقطني (٣/ ١٨)، والعلل المتناهية (١/ ١١١).

(٣) شرح بلوغ المرام (مجموع مؤلفاته ٣٨٧/٥).

وجه يحصل به الإيضاح والبيان مع الاختصار، إذ المقام لا يقتضي البسط^(١).
وقد فرغ منه مؤلفه في ١٠ شعبان سنة ١٣٧١ هـ.

وقد طبع الكتاب مرات جاوزت العشر، أشهرها: بعناية محمد حامد الفقي
مكتبة المعارف الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ، وأخرى بعناية أشرف عبدالمقصود بدار
الريان ١٤٠٨ هـ، وثالثة بعناية نادر التعمري بدار ابن حزم عام ١٤٢٤ هـ، كما طبع
الكتاب ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ بمركز صالح بن صالح الطبعة
الثانية ١٤١٢ هـ.

المطلب الثالث: التعريف بكتاب (أحاديث في الحج).

من مؤلفات الشيخ رحمه الله تعالى التي لم تطبع إلا مؤخراً هذا الكتاب، حيث
قام الشيخ ابن سعدي رحمه الله تعالى بجمع أحاديث تتعلق بالحج، وعدتها ثمانية
وأربعين حديثاً، منها سبعة وعشرون حديثاً من الصحيحين أو أحدهما، والبقية
من السنن الأربع ومسند الشافعي ومسند الدارمي ومعرفة السنن والآثار وشعب
الإيمان للبيهقي.

ولم يبين الشيخ رحمه الله تعالى منهج التأليف، ولا سببه سوى قوله في مقدمة
الكتاب: هذه أحاديث تتعلق بالحج موجودة فيما نقلت منه^(٢).

والكتاب عبارة عن أحاديث مجردة عن الشرح والتعليق سوى العزو وفي
التخريج، ولعل سبب تأليفه للكتاب ليكون كالتذكرة لمراجعة أحاديث الحج.

وقد طبع الكتاب ضمن مجموع مؤلفات الشيخ بوزارة الأوقاف القطرية
الطبعة الأولى عام ١٤٣٢ هـ.

(١) (ص ٢٩) من طبعة دار ابن حزم.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ، طبعة وزارة الأوقاف القطرية (٥/ ٢٣٩)

المطلب الرابع: التعريف بكتاب (الأحاديث المختارة في الأصول والأحكام والآداب وغيرها).

يعد هذا الكتاب من أوسع مؤلفات الشيخ رحمه الله تعالى في جمع الأحاديث؛ حيث بلغت الأحاديث فيه خمسة وثلاثين وخمسمائة حديثاً.

ويبين الشيخ رحمه الله تعالى في مقدمة الكتاب سبب تأليفه للكتاب بقوله: فهذه أحاديث نبوية انتقيتها وتخيرتها من كتب المحدثين، لا يستغني عن حفظها أو تذكرها صاحب العلم، متعلقة بالأصول والفروع والآداب^(١).

وكذلك ذكر الشيخ في خاتمة كتابه أن الأحاديث التي ذكرها محتوية على كثير من الأصول والأحكام والنصائح والمواعظ والحكم، وجلّها ومعظمها من صحيح البخاري ومسلم، ويندر فيها الحديث الضعيف^(٢).

والكتاب كسابقه جرده الشيخ من الشرح والتعليق سوى عزو الأحاديث، وكذلك تبويب الكتاب.

وقد كان فراغ الشيخ رحمه الله تعالى من تأليف الكتاب في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٦٨ هـ كما نص عليه في آخر الكتاب.

وقد طبع الكتاب ضمن مجموع مؤلفات الشيخ بوزارة الأوقاف القطرية الطبعة الأولى عام ١٤٣٢ هـ.

المطلب الخامس: التعريف بكتاب (قطعة من شرح بلوغ المرام).

لا تقل أهمية كتاب (بلوغ المرام) للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة (٨٥٢ هـ) عن كتاب عمدة الأحكام؛ فاهتمام أهل العلم به ظاهرٌ بين، وهو يمتاز

(١) (٢٥٥/٥).

(٢) (٣٦٧/٥).

عن كتاب عمدة الأحكام بأنه يجمع بين أحاديث الأحكام المخرجة في الصحيحين وغيرها من الكتب المسندة، بخلاف كتاب عمدة الأحكام الذي اقتصر فيه مصنفه على جملة من أحاديث الأحكام المتفق عليها فقط، لذا اهتم كثير من أهل العلم بكتاب بلوغ المرام حفظاً وشرحاً.

ولبلوغ المرام عند الشيخ ابن سعدي رحمه الله تعالى عناية خاصة، فهو من الكتب التي غالباً تقرأ في الدرس^(١).

وهذا الشرح للشيخ غير مكتمل، وهو قطعة من آخر بلوغ المرام؛ أحاديث مختارة على ترتيب بلوغ المرام ابتداءً من (باب الشركة والوكالة) إلى (ومن باب النكاح).

وليس في مخطوط الكتاب ما يدل على تاريخ نسخه ولا اسم ناسخه.

وقد طبع الكتاب ضمن مجموع مؤلفات الشيخ بوزارة الأوقاف القطرية الطبعة الأولى عام ١٤٣٢ هـ.

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢٢٤)

المبحث الثاني: منهج العلامة ابن سعدي في شرح الأحاديث وبيان معانيها؛ وفيه مطالب:

المطلب الأول: منهجه في تخريج الحديث والحكم عليه.

إن قوة الحكم المستتب من الدليل متوقفة على صحة الدليل؛ ولذا كانت من عناية الشيخ رحمه الله تعالى ذكر تخريج الحديث والذي يساعد في الحكم عليه. يقول الشيخ: ولكن الاستدلال موقوف على صحة حديث: «الطواف بالبيت صلاة...»^(١).

واعتنى الشيخ رحمه الله تعالى في كتبه التي جمع فيها الأحاديث بذكر ما يصلح الاحتجاج به؛ فقال في مقدمة «بهجة قلوب الأبرار»: وقد بدالي أن أذكر جملة صالحة^(٢).

ويقول رحمه الله تعالى في مقدمة «الأحاديث المختارة»: فهذه أحاديث نبوية انتقيتها وتخيرتها من كتب المحدثين، لا يستغنى عن حفظها أو تذكرها صاحب العلم، متعلقة بالأصول والفروع والآداب^(٣)، وقال في خاتمة الكتاب عن الأحاديث التي أوردها: وجلها ومعظمها من صحيح البخاري ومسلم، ويندر فيها الضعيف^(٤).

(١) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته: ٩/٤)، أخرجه أحمد (ح ١٥٤٢٣) والنسائي (ح ٢٩٢٢) والحديث روي مرفوعاً وموقوفاً، ورجح الدارقطني (ح ٣٠٤٤) وقفه على ابن عمر رضي الله عنه، ورجح البيهقي (ح ٩٢٩٢) وقفه على ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) بهجة قلوب الأبرار (مجموع مؤلفاته ٧/٥).

(٣) الأحاديث المختارة (مجموع مؤلفاته ٥/٢٥٥).

(٤) الأحاديث المختارة (مجموع مؤلفاته ٥/٣٦٧).

ويشير رحمه الله تعالى إلى تخريج الأحاديث التي يذكرها بعبارة مختصرة دون توسع بقوله: أخرجه البخاري ومسلم، ونحوها من العبارات التي استعملها العلماء كثيراً.

وقد سلك العلامة ابن سعدي منهجين: منهج في البهجة وشرح البلوغ وهو عزو الحديث دون الحكم عليه ومنهج في شرح العمدة وهو ذكر الحديث دون عزو وأما الحكم فهو قل ما يتعرض له في جميع كتبه؛ كقوله: وصححه ابن حبان والحاكم^(١)، ونحوها.

وربما حكم رحمه الله تعالى على بعض الأحاديث دون النقل عن غيره، كقوله: وأما الآثار المروية «الشفعة كحل العقال» أو: «لمن واثبها»^٢ فلم تثبت^(٣). ويمكن أن يقال: أن المدرسة النجدية بل وغالب العالم الإسلامي في ذلك الوقت لم يكن يعنى بالحديث فهو مجرد ذكر له دون انتقاء أو عزو أو تصحيح إلا من رموز معروفة كأحمد شاكر، وعبد الرحمن المعلمي عليهما رحمه الله وقلة معهما، فجاء الشيخ السعدي فأبرز في هذا الميدان أهمية الحديث في جانبيين:

١. تأليفه وجمعه في الحديث وغالب طريقته قائمة على مراعاة جانبيين: عزو الحديث وثبوته والجانب الآخر أن يكون من الأحاديث الجامعة في بابه، فهو ينتقي الأحاديث على هذا الأساس كما في الأحاديث المختارة أو أحاديث

(١) ينظر على سبيل المثال: بهجة قلوب الأبرار (مجموع مؤلفاته ٥/ ٢٢٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (ح ٢٥٠٠)، وزيادة (واثبها) عند عبدالرزاق (ح ١٤٤٠٦) من قول شريح.

(٣) شرح بلوغ المرام (مجموع مؤلفاته ٥/ ٣٨٢)، والحديث بلفظه الأول: أخرجه ابن ماجه (ح ٢٥٠٠)

بسند ضعيف؛ فيه عبدالرحمن البيلماني، قال أبو زرعة: هذا حديث منكر، وأما اللفظ الثاني: فأخرجه عبدالرزاق (ح ١٥٢١٧) من قول شريح.

- الحج وكذلك البهجة جمع الأحاديث وشرحها.
٢. في شرح العمدة يكتفي في الغالب في ذكر الحديث دون عزوه أو الحكم عليه ولكنه يحرص أن لا يورد إلا حديثاً صحيحاً وهذا ظاهر في استعراض الأحاديث التي ذكرها في الشرح.
٣. في شرح بلوغ المرام يكتفي بحكم ابن حجر وإن تكلم على الحديث أعاد قول ابن حجر كما في حديث «الشفعة كحل عقال» فقد قال ابن حجر في البلوغ: رواه ابن ماجه والبخاري وزاد «ولا شفعة لغائب» وإسناده ضعيف.
- ونقل في مواضع أحكام الأئمة على الأحاديث؛ كنقله عن شيخ الإسلام في حكم الجهر بالبسملة في الصلاة: ولم يثبت حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالجهر بها من وجه صحيح^(١).
- والشيخ رحمه الله تعالى من فقهاء الحنابلة؛ ومع ذلك فقد حكم على حديث بالوضع، وهو حديث «أمرنا بغسل الأنجاس سبعاً»^(٢)، وغسل الأنجاس سبعاً من مفردات الحنابلة^(٣)، يوردون في الاستدلال عليه هذا الحديث، وقليل جداً منهم من يحكم عليه^(٤)، فحكمه رحمه الله تعالى على هذا الحديث بالوضع يدل على عدم
-
- (١) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٩٨/٤)، وكلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٢٢/٢٧٥).
- (٢) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ١٣/٤).
- (٣) المنح الشافيات بشرح مفردات الإمام أحمد (١/١٥٣).
- (٤) ممن حكم عليه ابن عبدالهادي في كتاب «جملة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (ص ٦٨) فيما نقله عن شيخ الإسلام، وقال الشيخ فيصل المبارك في «كلمات السداد» (ص ٢٤): لا تقوم به حجة، وينظر في الحكم على الحديث إلى كتاب «إرواء الغليل» (١/١٨٦).

تقيده بقول أحد؛ بل كان رحمه الله تعالى من أهل الاجتهاد المقيد، فصار يرجح من الأقوال ما رجحه الدليل وصدقه التعليل^(١).

وربما ضعف الحديث المستدل به بالإشارة إليه دون ذكر لفظه؛ كقوله في الشفعة في الأموال التي تقسم وما لا يقسم: وأما ما استدل له على التفريق بين النوعين فضعيف^(٢).

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/٢٢٠).

(٢) بهجة قلوب الأبرار (مجموع مؤلفاته ٥/١١٥).

المطلب الثاني: منهجه في شرح ألفاظ الحديث.

يصدر الشيخ رحمه الله تعالى شرحه للحديث ببيان الألفاظ التي ذكرت في الحديث، إذ إن بيان المعنى الاجمالي والفوائد المستنبطة متوقف على معرفة معاني الألفاظ.

وذكره رحمه الله تعالى لمعاني الألفاظ يكون مختصراً جداً، كقوله في شرح بلوغ المرام على حديث «ألقوا الفرائض بأهلها....» المراد بالفرائض هنا المقادير التي قدرها الله ورسوله للوارثين^(١)، وكقوله: «ولا يختلي خلاه»: الخلاء الحشيش الرطب^(٢).

وينقل ضبط الكلمة المشككة كما في قوله: (الخبث) وقال القاضي عياض: أكثر روايات الشيوخ بسكون الباء^(٣).

ويستنبط الحكم بناءً على معنى الكلمة؛ كقوله في صلاة الكسوف: الفرع هو شدة المبادرة إلى فعل الشيء، وهذا دليل لمن قال بوجوبها^(٤).

ومن عادة الشيخ كأهل العلم بيان تفسير الحديث بالقرآن والحديث وأقوال الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من العلماء؛ كقوله في حديث «ثمن الكلب

(١) شرح بلوغ المرام (مجموع مؤلفاته ٥ / ٣٩٥)، والحديث أخرجه البخاري (ح ٦٧٣٢) ومسلم (ح ١٦١٥).

(٢) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤ / ٢٥٣)، وهو جزء من حديث أخرجه البخاري في مواضع منها (ح ١٣٤٩) ومسلم (ح ٤٤٥ - ح ٤٦٤).

(٣) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤ / ٢٠)، وينظر إلى مشارق الأنوار للقاضي عياض (ص ٢٢٨).

(٤) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤ / ١٥٦).

خبيث»^(١): الخبيث يطلق على الشيء المحرم كما في قوله تعالى ﴿وَيُحَدِّثُ لَهُمُ
الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ويطلق على الردي الدني
كما في قوله تعالى ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧]... وقد
اجتمع في هذا الحديث كلا النوعين^(٢).

وكقوله في تفسير «لا أدري قال أربعين يوماً...»: ورد في بعض الروايات
صريحاً «أربعين خريفاً»^(٣)، وكقوله في حديث «فتلاعنا كما قال الله تعالى»: أي في
الحديث السابق؛ فإن هذا الحديث عبارة مختصرة من الحديث الأول^(٤).

(١) أخرجه مسلم (ح ١٥٦٨).

(٢) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ٣٠١).

(٣) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ١٠٤)، والحديث أخرجه البخاري (ح ٥١٠) ومسلم
(ح ٥٠٧) وأما زيادة (خريفاً) فهي عند البزار (ح ٣٧٨٢) وهي منكورة.

(٤) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ٤٠٩)، والحديث الأول يعني به حديث ابن عمر رضي
الله عنهما في اللعان أخرجه البخاري (ح ٥٣١٢) ومسلم (ح ١٤٩٣)، والحديث الثاني حديث ابن
عمر رضي الله عنهما أخرجه البخاري (ح ٤٧٤٨) ومسلم (ح ١٤٩٤).

المطلب الثالث: منهجه في بيان المعنى الإجمالي.

عناية وبراعة العلامة ابن سعدي رحمه الله تعالى ببيان المعنى الإجمالي للأحاديث المشروحة أمرٌ بينٌ وظاهرٌ لكل من طالع كتبه؛ من ذلك شرحه للأحاديث بطريقة مختصرة تأتي على ما يحتاجه طالب العلم دون اختصار مخل ولا طول ممل، قال رحمه الله تعالى: فإن القليل الذي يفهمه ويعقله خير من الكثير الذي هو عرضة لعدم الفهم والنسيان^(١).

وقال في مقدمة كتابه «بهجة قلوب الأبرار..»^(٢): وقد بدالي أن أذكر جملة صالحة من أحاديثه في المواضيع الكلية، والجوامع في جنس أو نوع أو باب من أبواب العلم، مع التكلم على مقاصدها وما تدل عليه على وجه يحصل به الإيضاح والبيان.

ويصدر الشيخ رحمه الله تعالى شرحه للأحاديث بذكر الأصول العظيمة التي اشتمل عليها الحديث، كقوله في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف..»^(٣): هذا الحديث اشتمل على أصول عظيمة وكلمات جامعة^(٤)، ثم شرع ببيان هذه الأصول بكلام موجز غير مخل بالمقصود، وهذه كانت طريقته في بيانه للمعنى الإجمالي لكثير من الأحاديث. قال رحمه الله تعالى في حديث «الدين النصيحة»^(٥): فالنبي صلى الله عليه وسلم فسر النصيحة بهذه الأمور الخمسة التي تشمل القيام بحقوق الله، وحقوق

(١) الفتاوى السعدية (ص ٤٥٠).

(٢) بهجة قلوب الأبرار (مجموع مؤلفاته ٧/٥).

(٣) أخرجه مسلم (ح ٢٦٦٤).

(٤) بهجة قلوب الأبرار (مجموع مؤلفاته ٣١/٥) وينظر: (١٢/٥).

(٥) أخرجه مسلم (ح ٥٠٧).

كتابه، وحقوق رسوله، وحقوق جميع المسلمين على اختلاف أحوالهم وطبقاتهم، فشمّل ذلك الدين كله، ولم يبق منه شيء إلا دخل في هذا الكلام الجامع المحيط^(١). ويشير رحمه الله تعالى في بيانه إلى المعنى الإجمالي إلى دخول الحديث في أبواب عدة؛ كقوله في شرح حديث «إنما الأعمال بالنيات...»^(٢) وحديث «من أحدث في أمرنا هذا...»^(٣): هذان الحديثان العظيمان يدخل فيهما الدين كله: أصوله وفروعه، ظاهره وباطنه، فحديث عمر رضي الله عنه ميزان للأعمال الباطنة، وحديث عائشة رضي الله عنها ميزان للأعمال الظاهرة^(٤).

ويكون بيانه إلى المعنى الإجمالي كذلك ببيان مكانة الحديث في الباب، خصوصاً في كتابه بهجة قلوب الأبرار، كقوله عن حديث «من عادى لي ولياً...»^(٥): هذا حديث جليل، أشرف حديث في أوصاف الأولياء، وفضلهم ومقامهم^(٦).

وللشيخ رحمه الله تعالى عناية في التقاسيم والأنواع التي تبين معنى الحديث الإجمالي، كتقسيمه لأنواع الحركة في الصلاة، وأنواع النقص والزيادة في الصلاة^(٧). ومن عنايته بالمعنى الإجمالي عنايته بمختلف الحديث وهو معارضة الحديث

(١) بهجة قلوب الأبرار (مجموع مؤلفاته ١٥/٥).

(٢) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه وقد صدّر الصحيح بهذا الحديث (ح ١)، ومسلم (ح ١٥٥) واللفظ المتفق عليه (بالنية)، وعند البخاري بلفظ (بالنيات).

(٣) أخرجه البخاري (ح ٢٦٩٧) ومسلم (ح ١٧١٨).

(٤) بهجة قلوب الأبرار (مجموع مؤلفاته ٨/٥).

(٥) أخرجه البخاري (ح ٦١٣٧).

(٦) بهجة قلوب الأبرار (مجموع مؤلفاته ١٠١/٥).

(٧) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٩٠/٤) و(١٠١/٤).

مع مثله مع إمكان الجمع بلا تعسف^(١)، إذ الجمع فيه بيان لمعنى تتفق به الأحاديث، كقوله في الجمع بين حديث «يصليها بغلس»^(٢) وحديث «أسفروا بالفجر...»^(٣):
وقيل معناه: لا تصلوا حتى تحققوا طلوع الفجر^(٤).

ولاشك أن الجمع بين الأحاديث المتعارضة أولى من القول بنسخ أحدها؛ إذ الجمع إعمال للأحاديث جميعاً، والنسخ إعمال لبعضها، وبنه الشيخ رحمه الله تعالى كثيراً إلى عدم صحة القول بالنسخ لإمكان الجمع؛ من ذلك قوله على قول بعض أهل العلم أن النهي في حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه في آية المشركين «فلا تأكلوا فيها»^(٥) منسوخ؛ والصواب أن هذا الحديث ليس بمنسوخ، بل يقال: المراتب ثلاث:

أحدها: أن تعلم نجاسة ذلك، فهذه يجب غسلها بالاتفاق.

الثانية: أن تعلم طهارتها فهذه لا يجب غسلها.

الثالثة: أن تجهل حالها، فهذه أيضاً لا يجب غسلها لأن الأصل الطهارة في جميع الأشياء^(٦).

فأجاب رحمه الله تعالى بهذا التفصيل البديع على الإشكال القائم بين جملة من أحاديث وآثار الباب، وهكذا كان منهجه في رفع الإشكالات الحديثية بصورة واضحة.

(١) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (ص: ٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (ح ٥٦٠)، ومسلم (٦٤٦).

(٣) أخرجه الترمذي (ح ١٥٤)، والنسائي (ح ٥٤٨).

(٤) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ٥٢).

(٥) أخرجه البخاري (ح ٥٤٩٦)، ومسلم (ح ١٩٣٠).

(٦) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ٥٠٩).

المطلب الرابع: منهجه في استنباط الفوائد والأحكام.

اعتنى العلامة ابن سعدي رحمه الله تعالى باستنباط الفوائد والأحكام عناية فائقة؛ خصوصاً في شرحه على عمدة الأحكام وبلوغ المرام.

قال الشيخ ابن بسام رحمه الله تعالى: أما كلامه على النصوص الكريمة سواء كان في التفسير أو في الحديث فأمر عجب، فإنه يستنبط منها الأحكام والفوائد ما لا يتصوره طالب^(١).

يدل على ذلك سهولة إيراده للفوائد والأحكام بقوله: وفيه، أو قوله: ومنها، ثم يسوق الفوائد والأحكام المستنبطة، وهذه طريقة مسلوكة لعلماء سابقين كابن الملتن والحافظ وغيرهما وذلك لضبط المسائل وحصرها.

وربما صدر الفائدة بسؤال ثم يجيب عليه؛ كقوله في الغسل: وهل يستحب تكميله أو تأخير غسل الرجلين إلى الفراغ من الغسل؟^(٢).

وربما ألحق بشرح الحديث فوائد غير مستنبطة منه؛ لعلاقتها بموضوع الحديث، ويصدر تلك الفائدة بقوله: تنبيه، أو بقوله: تتمه، مثال ذلك ما ذكره من تتمه وتنبيه معاً في أثناء شرح حديث عائشة رضي الله عنها في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في الليل^(٣)، فذكر تتمه في حكم الوتر ورجح أن الوتر سنة مؤكدة، ثم ذكر تنبيهه حول حديث «إن الله وتر يحب الوتر»^(٤) في استحباب الوتر في أغلب

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/٢٢٣).

(٢) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/٣٦)، وينظر (٤/٧٨).

(٣) ولفظ حديث عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة منها الوتر، وركعتا الفجر. الحديث أخرجه البخاري (ح ١١٤٠) ومسلم (ح ٧٣٧).

(٤) أخرجه البخاري (ح ٦٤١٠)، ومسلم (ح ٢٦٧٧).

الشرائع كالطواف والرمي^(١).

ويشير رحمه الله تعالى إلى الخلاف بطريقة مختصرة دون ذكر اسم القائل؛ كقوله: واستدل بعضهم، وغالباً يرد على مثل هذا الاستدلال، كقوله: واستدل بعضهم بهذا على أن الماء إذا غمست فيه يد القائم من نوم ليل الناقض للوضوء يكون طاهراً غير مطهر، وليس في الحديث دلالة على هذا^(٢).

ومن ذلك ترجيحه في الخلاف بعدة مرجحات؛ منها ترجيحه بما دلت عليه النصوص كقوله: وهذا القول هو القول الصحيح الذي لا ينبغي القول إلا به وهو الذي دلت عليه النصوص^(٣)، أو بتضعيف الدليل المعارض كقوله: وأما حديث ابن عمر رضي الله عنهما (أمرنا بغسل الأنجاس سبعاً) فموضوع^(٤).

وينسب الأقوال لقائلها كالمذاهب الأربعة وغيرها، ويذكر ما عليه أهل البلد في وقته؛ كقوله في ترجيح أن صلاة الغائب تشرع للمصلحة: وهذا القول أصح الأقوال، وهو الذي عليه عمل أهل نجد اليوم^(٥).

وليس يخفى تأثر الشيخ رحمه الله بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، فهي التي فتقت ذهنه ووسعت مداركه^(٦)، فربما نسب القول إليهما بعد ترجيحه له، كما في قوله في صحة المسح على الخف المخرق ما دام اسمه باقياً:

(١) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ١٢٤-١٢٥).

(٢) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ١٠)، وينظر: بهجة قلوب الأبرار (المجموع ٥/ ١٢٥).

(٣) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ٤٩).

(٤) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ١٣)، وينظر: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١/ ٣٣٢).

(٥) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٤/ ١٦٩).

(٦) علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢٢٠).

وبه قال شيخ الإسلام^(١).

وربما ذكر خلاف قولهما بما يظهر له إحتياطاً؛ كقوله في زكاة الفطر بنصف صاع من السمراء. ومذهب الإمام أحمد كمذهب أبي سعيد رضي الله عنه في صدقة الفطر خاصة (صاع)،..... ومذهب شيخ الإسلام كمذهب معاوية رضي الله عنه، وعلى كلِّ فالاحتياط أولى^(٢).

وهو رحمه الله تعالى مع ذكر خلاف أهل العلم رحمهم الله تعالى في الأحكام المستنبطة من الأحاديث يسوق أدلة كل قول، ويعتذر عن من لا يرجح قوله؛ كقوله لما رجح الفطر في يوم الغيم من شعبان: وكان الشيخ عبدالله أبا بطين^(٣) يرى فطره، ولما كان قاضياً في عنيزة كان يعمل برأيه، فلما راح إلى بريدة وكان قاضياً تلميذه الشيخ سليمان بن مقبل^(٤) وكان يرى صيام ذلك اليوم، فتابعه الشيخ عبدالله أبا بطين على رأيه، فقليل له في ذلك؛ فقال: الخلاف شر والاجتماع خير^(٥).

(١) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ٢٧/٤)، وينظر: (٤٦/٤) و(٦٥/٤).

(٢) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ١٩٩/٤).

(٣) قاضي وفقه حنبلي توفي سنة ١٢٨٢هـ، ينظر ترجمته في: مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص ١٧٨).

(٤) قاضي بريدة توفي سنة ١٣٠٤هـ، ينظر ترجمته في: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣٧٣/٢).

(٥) شرح عمدة الأحكام (مجموع مؤلفاته ١٩٩/٤).

خاتمة البحث

الحمد لله الذي وفق لإنجاز هذا البحث، وأسأله تعالى أن يتقبله بقبول حسن، وأقيد هنا أهم النتائج التي توصلت إليها، والتوصيات التي أقرحتها:

النتائج:

- ١ . رسوخ قدم العلامة ابن سعدي رحمه الله تعالى في شرح الأحاديث وبيان معانيها.
- ٢ . براعته رحمه الله تعالى في طريقة عرضه لشرح الأحاديث وبيان معانيها، فليس بطويل ممل ولا بمختصر مخل.
- ٣ . عظيم عنايته رحمه الله تعالى بالأحاديث التي تدل على كمال الدين ورفعته، وشرحها شرحاً وافياً؛ ذكراً للأدلة الشرعية الأخرى في ثنايا شرح الحديث من القرآن الكريم وآثار الصحابة رضي الله عنهم وأقوال علماء الأمة رحمهم الله تعالى.
- ٤ . عنايته رحمه الله تعالى بكتب الحديث قراءة وإقراء كالكتب الستة، وعمدة الأحكام، وبلوغ المرام.

التوصيات:

- ١ . حاجة هذا الموضوع إلى دراسة أوسع، وتناول أشمل، فكل الذي مضى إنما هي دراسة مختصرة؛ لفتح أفق في هذا الجانب المشرق.
- ٢ . التوصية بصرف همة الباحثين في المخطوطات إلى البحث عن مزيد مصنفات لهذا العالم رحمه الله، فكثير من كتبه رحمه الله تعالى لم تطبع إلا مؤخراً.
- ٣ . دراسة منهج الشيخ رحمه الله تعالى في شرحه للأحاديث من خلال كتبه غير الحديثية كالتفسير والفقهاء ونحوها.

٤. أفراد دراسات في كلام الشيخ رحمه الله تعالى على بعض أنواع الحديث كمختلف الحديث، ومسائل أصول الفقه ونحوها التي يذكرها ضمن شروحه للأحاديث.

٥. إقامة المسابقات العلمية على كتب الشيخ رحمه الله تعالى حفظاً وفهماً. والله تعالى أسأل العون والتوفيق والسداد، وأن يتجاوز عن زللي، ويرحم ضعفي، ويغفر عن تقصيري، ويجبر قصوري، وأن يرزقني الإخلاص، وحسن القصد، وأن يفقهني في دينه، ويجعلني من أنصاره، والدعاة إلى سبيله على بصيرة. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس المصادر والمراجع

- ١- الأعلام، المؤلف خير الدين الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة (١٥) ٢٠٠٢ م.
- ٢- الجامع الكبير - سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨ م.
- ٣- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، الناشر: دار طوق النجاة.
- ٤- السنن، المؤلف: محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، الرسالة.
- ٥- السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ.
- ٦- السنن (المجتبى)، المؤلف: أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، الناشر: دار المعرفة، الطبعة: الخامسة ١٤٢٠هـ.
- ٧- شرح عمدة الأحكام للعلامة ابن سعدي، تحقيق عبدالرحمن بن سالم، الشؤون الإسلامية بقطر.
- ٨- الشيخ عبدالرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة، المؤلف: عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ٩- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، المؤلف: عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: إرشاد الحق الأثري، الناشر: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ.
- ١٠- العلل الواردة، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: محفوظ الرحمن السلفي، دار طيبة - الرياض. الطبعة (١) ١٤٠٥هـ.

- ١١ - علماء نجد خلال ثمانية قرون، المؤلف سماحة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ.
- ١٢ - المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، طبعة مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- ١٣ - مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م.
- ١٤ - المسند الصحيح المختصر = صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٥ - مشارق الأنوار، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.
- ١٦ - مشاهير علماء نجد وغيرهم، المؤلف عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، الناشر: طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار الإمامة الرياض، الطبعة: الأولى، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م
- ١٧ - المصنف، المؤلف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي - الهند، الطبعة (٢) ١٤٠٣ هـ.
- ١٨ - معجم المؤلفين، المؤلف: عمر بن رضا كحالة الدمشقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.
- ١٩ - الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، جمع وإعداد: وليد الزبيري وآخرون، الناشر: مجلة الحكمة، ط (١) ١٤٢٤ هـ.
- ٢٠ - نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر، تحقيق د. عبد الله الرحيلي، الناشر: (بدون)، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ.